

محمد بن عبد الملك بن عبد الحميد<sup>(١)</sup>

أصله من مَيَّافَرِيقِينَ، وانتقل إلى بغداد، فأقام بها، وكان صالحاً زاهداً، يتكلم على النَّاسِ بجامع الخليفة على السَّجَّادة قاعداً، وربما قام على قدميه قائماً، وكان يحفظ «نهج البلاغة»، وكان لكلامه في القلوب موقع، وتوفي في رجب ببغداد بباب أبرز، وعمره إحدى وسبعون سنة.

وله نَظْمٌ ونَثْرٌ، فمن ذلك: اللهم إني أعودُ بك من حركات الهوى واللهو، وسكنات البلادة والسَّهْوِ، أطلع ثمارَ الأمانِي من أغصان آمالنا، لَمْ يُلْطَفْكَ شَعَثَ أحوالنا. ولما حُوصِرَت بغداد، قال: عساكر الأفضية والأقدار مُحدِّقَةٌ بأسوار الأعمار، تَهْدِمُهَا بمعاول اللَّيْلِ والنهار، فلو أضاء لنا مِصْبَاحُ الاعتبار، لم يبق لنا سكونٌ ولا قَرَار. وقال: الخَلْوَةُ لقوم سرور، ولآخرين غرور، ولا تنظروا إلى المَجَازِيآت الرَّائِلَات، وانظروا إلى الحقائق الدائمات.

وقال: اللهم، سَلِّمِ القلوبَ من سُموْمِ الهموم، بديرياق الثقة بالرزق المقسوم.

ومن شعره: [من البسيط]

يا مَنْ يرى خدمة السُّلْطانِ عُدَّتْهُ	ما أَرَشُ كدِّكَ إِلَّا الهَمُّ والنَّدَمُ
دعِ الملوِكُ فخيرٌ من طِلابِك ما	ترجوه عندهمُ الجِرْمَانُ والعَدَمُ
إني أرى صاحِبَ السُّلْطانِ في ظَلَمٍ	ما مِثْلُهُنَّ إذا قاس الفتى ظَلَمٌ
فقلْبُهُ تَعَبٌ والنَّفْسُ خائِفَةٌ	وعِرْضُهُ عُرْضَةٌ والديْنُ منثَلَمٌ <sup>(٢)</sup>

## السنة الخامسة والستون وخمس مئة

فيها نزل الفرنج على دِمياط يوم الجُمعة ثالث صفر، وجدوا في القتال، وأقاموا عليها ثلاثة وخمسين يوماً يضربونها بالمجانيق، ويزحفون عليها ليلاً ونهاراً، ووجه صلاحُ الدِّينِ إليها العساكر مع خاله شهاب الدِّينِ وتقِي الدِّينِ، وطلب من العاضد

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٣١-٤٥٤، و«المنتظم»: ٢٢٩/١٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤٤/٤، و«شذرات الذهب»: ٢١٤/٤.

(٢) نسبت الأبيات إلى أبي الفتح البستي، وهي في «ديوانه»: ١٧٦-١٧٧، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

مالاً، فبعث إليه بشيء كثير، فكان صلاحُ الدين يقول: ما رأيتُ أكرمَ من العاضد، جهَّز إليَّ في حصار الفرنج ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها.

وأشغل نور الدين بلاد الفرنج بالغارات، ووقع فيهم الوباء والفناء، فرحلوا في ربيع الآخر<sup>(١)</sup> بعد أن مات منهم خلقٌ كثير.

وفي رجب وصل نجمُ الدين أيوب إلى مِصر، وكان صلاح الدين قد طلبه من نور الدين، فخرج صلاحُ الدين وجميعُ الأمراء إلى لقائه، وترجَّل صلاحُ الدين والجميع، ومشوا في ركابه، وقال له صلاح الدين: هذا الأمر لك، ونحن بين يديك. فقال له: يا بُني ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت أهلُّ له. وحكَّمه في الخزائن، فكان يُطلق ولا يرُدُّ أحداً.

وكثُرَ فسادُ العزِّ، فكتب العاضد إلى نور الدين يسأله أن يكون صلاحُ الدين وأصحابه وخواصُّه مقيمين عنده، والباقيون يرجعون إلى الشَّام، فلم يُجِبْه، وقال: هؤلاء فرسان الإسلام، وليس للفرنج إلا سهامهم. وكتبَ إلى صلاح الدين يكفُّهم عن الفساد.

وفي شعبان سار نور الدين إلى الكرك، فنزله، وضربه بالمجانيق، واجتمع ملوك السَّاحل، وجاؤوه فتأخر إلى البلقاء.

وفي شوال كانت بالشام زلازلٌ هائلةٌ بحيث وقع مُعظم دمشق وشرافات الجامع، وتشقق رؤوس المنائر، وكانت تهتز مثل النخل في يوم ريحٍ عاصف، وكانت بحلب أعظم بحيث وقع نصف القلعة والبلد، فهلك من أهلها ثمانون ألفاً تحت الهدم، وتهدمت أسوارُ جميع القلاع، وخرج أهلها إلى البراري.

ووقعت قلعة حِصن الأكراد، بحيث لم يبق للسُّور أثر، وكذا حماة وحمص، ولولا أن نور الدين كان بالبلقاء والفرنج في قتاله لسار وأخذ حِصن الأكراد.

وجاء ما شغل قلبه من ناحية الشَّرْقِ ودمشق: أمَّا من [ناحية]<sup>(٢)</sup> الشرق فوفاة أخيه قُطب الدين مودود بالمَوْصِل، وأمَّا [من]<sup>(٢)</sup> دمشق فوفاة العمادي، وكان نائبه في حلب وغيرها، وكانت له بَعْلَبَك وتدمر، وكان عزيزاً عنده، وصاحبه وحاجبه.

(١) عن العماد: فرحلوا في الحادي والعشرين من ربيع الأول، انظر «الروضتين»: ١٤٢/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وبلغه أيضاً وفاة مجد الدين ابن الداية بحلب، وكان صاحب أمره، وسار نور الدين إلى حلب خوفاً عليها من العدو؛ لأن أسوارها تهدمت، وفرق العساكر في القلاع خوفاً عليها من العدو؛ لأنها بقيت بغير أسوار.

وفي الزلزلة يقول العماد: [من الخفيف]

سَطْوَةٌ زَلَزَلَتْ بِسُكَّانِهَا الْأَرْضَ      وَهَدَّتْ قِوَاعِدَ الْأَطْوَادِ  
خَفَضَتْ مِنْ قِلاعِهَا كُلَّ عَالٍ      وَأَعَادَتْ قِلاعَها كَالوَادِ  
وكانت هذه الزلزلة عامة في الدنيا، أحرقت [قلاع المسلمين وبلادهم بالشام و<sup>(١)</sup>] حلب والعواصم وأنطاكية، ونزلت اللاذقية وجبله، وجميع بلاد الساحل إلى الداروم، [ويقال إنه<sup>(١)</sup>] لم يمت بدمشق إلا رجلٌ واحد أصابه حجرٌ وهو على درج جيرون، لأن أهلها خرجوا إلى الصحراء.

ثم امتدت الزلزلة، وقطعت الفرات، فوصلت إلى الموصل وسنجار ونصيبين والرُّها وحرَّان والرَّقة وماردين وغيرها، وامتدت إلى بغداد وواسط والبصرة، وجميع بلاد العراق، ولم يرَ النَّاسُ زلزلةً من أوَّل الإسلام مثَلُها أفنت العالم.

وفيهَا أمر نور الدين بعمارة جامع دارياً القائم الآن، وكان قديماً عند قبة أبي سليمان الداراني، فأحرقوه لما نزلت الفرنج على داريا في أيام مجير الدين أبق، فعمر نور الدين في هذه السنة هذا الجامع الذي في وسط القرية.

[فصل : وفيها توفي

### [علي بن] هبة الله<sup>(٢)</sup>

ابن محمد بن أحمد بن أبي البركات، البخاري، الفقيه الشافعي.  
تفقه ببغداد على أسعد الميهني، وسمع أباه، وولي القضاء بقونية من بلد الروم.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة لوفيات النقلة»: ٢٨١/١ (في ترجمة ابنه علي حوادث سنة ٥٩٣هـ)، و«الوفيات بالوفيات»:

٢٨٣/٢٢، و«طبقات الشافعية»: للسبكي: ٢٣٨/٧، و«طبقات الشافعية»: للإسنوي: ١٧٤/٢، وابنه علي

سترده ترجمته في وفيات سنة ٥٩٣هـ)، وما بين حاصرتين من مصادر ترجمته، وسياق هذه الترجمة.

وابنه علي بن علي ولي القضاء ببغداد، وكنيته أبو طالب، وناب في الوزارة. ومات ابنه علي ببغداد في سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وعقبه اليوم ببغداد قضاة، يقال لهم: بيت البخاري<sup>(١)</sup>

وفيهما توفي

### الحسين بن محمد<sup>(٢)</sup>

أبو الْمُظْفَر ابن السَّيِّبِي البغدادي.

كان يلي ضياعاً للخليفة من بلد قوسان، فرفع إليه أنه خان، فحبسه، فكتب إلى أهله من الحبس لنفسه: [من الطويل]

سلامٌ على أهلي وصحبي وجُلّاسي  
أحبة قلبي قلّ صبري عنكم  
أعالج فيكم كلّ همّ ولا أرى  
خذوا الواكف المِدرار من فيضِ أدمعي  
لقد أبدت الأيام لي كلّ شدّة  
أقول لقلبي والهموم تنوشه  
وكيف اصطباري عنكم وتجلّدي  
ومن لي بطيف منكم أن يزورني

ومن في فؤادي ذكرهم راسب راسي  
وزاد بكم وجدي وحزني ووسواسي  
لداء همومي غير رؤيتكم آسي  
وحرّ لهيب النار من كرب أنفاسي  
تشب لها الأكباد فضلاً عن الرّاس  
وقد حدّثته النّفس بالصّبّر والياس  
على فقدكم ويلي على قلبي القاسي  
على الليلة الليلاء في جُحّ ديماسي<sup>(٣)</sup>

### حمّاد بن منصور البزاعي<sup>(٤)</sup>

ويعرف بالخرّاط، شاعر فصيح، فمن شعره: [من الرجز]

- (١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).  
(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٣١/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/١٨٥-١٨٦، و«الكامل»: ٣٤٩/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٤٠-٤١/١٣.  
(٣) القصيدة في «المنتظم» و«الكامل»: مع اختلاف في بعض الألفاظ.  
(٤) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ٢/١٣٠-١٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/١٤٨-١٥٠، و«النجوم الزاهرة»: ٣٨٣/٥.

بالشَّيخ في ذاك الجَمى والرَّندِ  
يعودُ حَرُّ لَوْعَتِي بِبَرْدِ  
تُهدِي حديثَ الحَيِّ فيما تُهدِي  
أودُّ لو صَافَحْتُهَا بِخَدِّي  
طال به بعد الفِراقِ عَهْدِي  
نَمَّ رَحَلْتُ وَأقامَ بعدي  
بما أَلَاقِي من زَمَانِ البُعْدِ  
ما عندهم من الهوى ما عندي  
لكنني كنتُ المَعْنَى وَخَدِي  
تَشَبُّ بين أضلعي وجِلدي  
تُنَجِّزُ أَيامَ اللِّقاءِ وَغَدِي<sup>(١)</sup>

يسعى بقلبٍ في الحبِّ مكسورِ  
نارُ انعطافٍ تُذنيه من نورِ  
لُطفاً وناجوه بالمعاذيرِ<sup>(٢)</sup>

وقال فلم تسمعي  
ت شكوى فتى موجعِ  
على سرِّه المودعِ  
على النارِ في الأضلعِ<sup>(٣)</sup>

تَوَلَّعِي يا نَسَمَاتِ نَجْدِ  
لعلَّ رِياكِ إذا ما نَفَحَتْ  
أصبو إلى رِيحِ الصَّبا لو أنها  
اسألها هل صَافَحَتْ مَواقِفاً  
أَسْتودِعُ اللهَ بها قَلْبِي فقد  
كان معي قبل رَحِيلِي عنهُم  
لهفي على زَمَانِ قُرْبِ ما وفي  
أبكي وبكي رحمةً لي معشرُ  
تجمَّعوا فيك على الحُبِّ معي  
ويلاه من شَوْقِ تَبِيئِ نارِهِ  
يا بَيْنُ أَنْجَزَتْ وعيدي فمتي

وقال: [من المنسرح]

موسى هواكم بجانبِ الطُّورِ  
حيرانَ في ظُلْمَةِ الرَّجاءِ فهل  
نادوه سِرًّا بَكُنْه سِرُّهُمُ

وقال: [من مجزوء المتقارب]

تَكَلَّمْ بالأذْمِ  
شكا بالبُكا لورحمِ  
وأشْفَقْ يَومَ النَّوى  
ودلَّ بماءِ الجفونِ

(١) القصيدة في «خريدة القصر»: ١٣٣/٢ - ١٣٤.

(٢) الأبيات من قصيدة في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١٤٧-١٤٩.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ١٤٥-١٤٦.

طاووس أم المستنجد<sup>(١)</sup>

كانت كثيرة الصدقات والمعروف، توفيت في ذي الحجة، وحملت إلى ترب الرصافة، وكان الوزير وأرباب الدولة قياماً إلى السفن، وهي في الرزب، وجلس الوزير لها في العزاء ثلاثة أيام.

علي بن ثروان<sup>(٢)</sup>

ابن زيد بن الحسن، أبو الحسن الكندي، ابن عم تاج الدين الكندي. كان فاضلاً، أديباً، حسن الخط، سكن دمشق، وتوفي بها، وحظي عند نور الدين، ومن شعره: [من الرمل]

هَتَكَ الدَّمْعُ بِصَوْبِ هَتِينٍ      كَلَّ مَا أَضْمَرْتُ مِنْ سِرِّ خَفِي  
يَا أَخِلَائِي عَلَى الْخَيْفِ أَمَا      تَتَّقُونَ اللَّهَ فِي حَثِّ الْمَطِيِّ

محمد بن إبراهيم بن هانئ<sup>(٣)</sup>

أبو القاسم المغربي.

من شعراء الدولة المضرية، ومن شعره: [من الرمل]

امسحوا عن ناظري كحل الشهادِ      وانفُضُوا عَنْ مَضْجَعِي شَوْكَ الْقَتَادِ  
أَوْ خُذُوا مِنِّي الَّذِي أَبْقَيْتُمْ      مَا أَحَبَّ الْجِسْمَ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ  
هَلْ تَجِيرُونَ مَحَبًّا مِنْ هَوَى      أَوْ تَفْكُونُ أَسِيرًا مِنْ صِفَادِ

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ٢٣١-٢٣٢/١٠، وفيه أنها توفيت يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ٣١٠-٣١٢، وفيه وفاته بعد ٥٦٥هـ، و«معجم الأدباء»: ٢٧٥-٢٧٧/١٢، «إنباه الرواة»: ٢٣٥/٢، «بغية الوعاة»: ١٥٢/٢.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ٣٥٢-٣٥٥/١ واسمه محمد بن هانئ، ولم يذكر في آبائه إبراهيم غير الصفدي، فإن كان هو ابن هانئ الشاعر المشهور، فقد توفي سنة (٣٦٢هـ) على قول ابن خلكان، وسنة (٣٦٥هـ) على قول السبط، يقوي ذلك إيراده قصيدة: امسحوا عن ناظري كل الشهاد، فقد أوردتها الصفدي في ترجمته ٣٥٥-٣٥٢/١. أما إذا كان غيره فلم أقف على ترجمته إلا أنني وجدت في «الخريدة»، قسم شعراء مصر: ٢٤٨/١ ترجمة محمد بن هانئ، وكناه أبا عبد الله وقال: توفي في آخر أيام الصالح بن رزيق قبل سنة ستين، وانظر مصادر ترجمته في «السير»: ١٣١/١٦.

ما على الشكلاء من لبس الحداد  
عن نسيم الرِّيح أو بَرَقِ الغوادِ  
فرضينا بالتَّنائي والبِعادِ

فعلى الأيام من بعدكُم  
وحديثِ عنكُم أكثره  
لم يزدنا القُرْبُ إلا هَجْرَهُ  
وقال: [من المتقارب]

وكلُّ حياةٍ إلى منتهى  
يرى مِلاءَ عَيْنِيهِ ما لا يُرى  
وأما العيون ففيها العمى  
أو الوجودُ لي راجعٌ ما مضى  
ففي كلِّ قلبٍ عليه أسي  
فما باتَ حتى سقاه الحَيَا  
ولكن ليبيك الندى بالندى

صهِ كُلِّ آتٍ قَرِيبُ المدى  
ولم أر كالمرءٍ وهو اللَّبِيبُ  
وليس النواظر إلا القلوبُ  
خليلي هل ينفعني البكا  
هلموا فذا مصرع العالمين  
ضريحٌ سَقَّتْهُ غِزارُ الدُمُوعِ  
وما جادَةُ الغَيْثِ من عُلَّةِ

وقال في مرض بعض الأمراء: [من البسيط]

وأفضل النَّاسِ من عُربٍ ومن عَجَمِ  
والجِلْمِ والعِلْمِ والآدابِ والحِجَمِ  
حَمَلْتُ عنك الذي حُمِلْتُ من ألمِ  
عَرَكَ لم أغتمضُ وَجِداً ولم أَنَمِ  
على صعيدِ الثَّرَى في جِنْدَسِ الظُّلَمِ

يا خير ملتحف بالجودِ والكَرَمِ  
يا ابنَ الهدى والندى والمكرماتِ معاً  
لو كنت أعطى المنى فيما أومَلُهُ  
الله يعلمُ أَنِّي مُذْ سمعتُ بما  
أدعو وطوراً أجيل الوجّه مُبْتَهلاً

### مودود بن زُنكي<sup>(١)</sup>

[ولقبه]<sup>(٢)</sup> قُطْبُ الدِّينِ، [أخو نور الدين محمود]،<sup>(٢)</sup> صاحبُ المَوْصِلِ.

كان أَسَمَرَ اللون، تامَّ القامة، عادلاً، منصفاً، ولما اخْتُصِرَ أوصى إلى ولده عماد الدين زنكي، وكان أكبرَ ولده وأعزَّهم عليه، وكان الحاكم على المَوْصِلِ فخر الدين عبد المسيح، وكان يكره عمادَ الدين، وكان عمادُ الدين قد أقام عند نور الدين بحلب

(١) له ترجمة في «الكامل»: ٣٥٥-٣٥٦، و«الباهر»: ٩٤، ١٤٦، و«الروضتين»: ١٦١-١٦٥،

«وفيات الأعيان»: ٣٠٢-٣٠٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٢١-٥٢٢، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مُدَّة، وزوَّجه ابنته، وكان نور الدين يبغض عبد المسيح لظُّلمه، فخاف عبدُ المسيح أن يعزله عمادُ الدين زنكي، فاتَّفَق مع الخاتون بنت حسام الدين تمر تاش صاحب ماردين زوجة قُطب الدين أن يثنوا قطب الدين عن عماد الدين، وأن يستخلف ولده سيف الدين غازي بن مودود، فعهد إليه، وتوفي قطب الدين وقد جاوز الأربعين، فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة، ولما بلغ نورُ الدِّين فعلُ عبد المسيح واستبداده [قال: أنا أولى<sup>(١)</sup>] بتدبير أولاد أخي من غيري. وقصد الموصِل.

### أبو بكر ابن الدَّاية<sup>(٢)</sup>

[ويلقب<sup>(٣)</sup> مجد الدِّين .

وكان شجاعاً دَيِّناً، من أكابر أمراء نور الدِّين، بنى بحلب خانكاه، [وهي باقية إلى هلم جراً<sup>(٣)</sup>] واتَّفَق موثُ العمادي في هذه السنة [وكان من أعظم أمرائه<sup>(٣)</sup>]، فبكى نور الدين، وقال: قُصَّ جناحي. وأعطى أولادَ العمادي بَعْلَبَكَّ، وقَدَّم على العساكر سابقَ الدِّين عثمان بن الدَّاية أخا مجد الدِّين، ودفن مجدُّ الدين بحلب، والعمادي بقاسيون في تربةٍ قريبة من تربة شرَكس شماليها، وهي أوَّلُ تربةٍ بنيت في الجبل، واسمه مكتوبٌ<sup>(٤)</sup> على بابها: هذه تربة محمد بن العمادي.

### السنة السادسة والستون وخمس مئة

في أول المحرم سار نور الدين إلى سنجار، ففتحها، وسلَّمها إلى عمادِ الدين زنكي ابن أخيه، وسار، فنزل على الموصِل من المشرق، عبَّر من مخاضة عند بلد، وكان عبد المسيح قد نفَّذ عزَّ الدين مسعود بن مودود إلى أتابك إيلدكز يسأله شفاعَةً إلى نور الدين بالكفِّ عن الموصِل، فجاء الرِّسول إلى نور الدين، وأبلغه الرِّسالة، فقال

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، انظر «الروضتين»: ١٦٦/٢ .

(٢) أخباره مبثوثة في «الروضتين»، وكتب تاريخ تلك الفترة. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): ووقفت على باب التربة وعليها مكتوب.